غرام الكبار

obeikan.com

obeikan.com

هو زهرة صالون مي زيادة وريحانته ..

قائد أوركسترا الصالون وبروفيسور الأجيال حقاً ..

وهو صاحب المقولة الشهيرة: «الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية». أستاذ الجيل بل كل الأجيال. مفكر وفيلسوف ومربى وكاتب وسياسى ومناضل من الطراز الأول. وأحد رواد التنوير وأبو الليبرالية المصرية. شارك فى مؤتمر السلام فى فرساى للمطالبة بإستقلال مصر عن بريطانيا العظمى. ومن أوائل المنادين بتعليم المرأة. تخرجت أول دفعة جامعية من الطالبات أثناء رئاسته للجامعة عام ١٩٣٢م.

ولد المرحوم أحمد لطفى السيد في ١٥ يناير ١٨٧٢ فى قرية برقين مركز السنبلاوين فى محافظة الدقهلية بمصر. وكان جده عمدة وأبوه عمدة وباشا. بدأ تعليمه بكتاب القرية ثم بالمدرسة الإبتدائية. وبعد ذلك إنتقل إلى القاهرة للدراسة فى المرحلة الثانوية.

فى عام ١٨٨٩م التحق بمدرسة الحقوق التى كانت فى ذلك الوقت مركزا للحركات والأفكار السياسية والوطنية. فكانت تجمع بين طلبتها شخصيات لعبت دورا خطيرا فى مستقبل مصر السياسى والوطنى. مثل مصطفى كامل وعبد الخالق ثروت وإسماعيل صدقى. وأثناء دراسة أحمد لطفى السيد فى مدرسة الحقوق تعرف على الإمام محمد عبده وأصبح من تلامذته. وخلال زيارة قصيرة للقسطنطينية أثناء العطلة الصيفية قابل جمال الدين الأفغانى وأعجب بأفكاره. وأثناء هذه الفترة قرأ كتاب أصل الأنواع لدارون. وقام بكتابة عدة مقالات سياسية فى جريدة المؤيد.

بدأ لطفى السيد نشاطه مع الزعيم الوطنى مصطفى كامل. وفى عام ١٨٩٧م عندما كان مصطفى كامل يخطط لتأسيس الحزب الوطنى بمساعدة الخديوى عرض على لطفى السيد رئاسة تحرير جريدة الحزب. بعد أن يقضى عاما كاملا فى سويسرا

ليحصل على الجنسية السويسرية. لأن ذلك كان يعطيه حصانة تمنع إعتقاله. وتقف ضد مصادرة كتاباته والحجر على أفكاره. مثل الحصانة التى كان يتمتع بها الأجانب فى مصر فى ذلك الوقت.

عندما ذهب لطفى السيد إلى جنيف قابل هناك الإمام محمد عبده. مما أغضب الخديوى وجعل صداقة أحمد لطفى السيد بمصطفى كامل تفتر. وعند عودته التحق بالعمل مديرا لدار الكتب عدة سنوات. أتاحت له الوقت للإطلاع على الفكر الأوروبى. فكان يقرأ لروسو وكومتيه وميللر وسبنسر. وقام بدراسة علم الأخلاق لأرسطو. وكان معجبا بكتابات تولستوى الأخيرة.

فى عام ١٩٠٧م انضم أحمد لطفى السيد إلى مجموعة من المثقفين الوطنيين لتكوين حزب الأمة. للوقوف أمام التيار الذى يتزعمه الخديوى ومصطفى كامل الخاص بالتقرب إلى تركيا. وكان ينتمى إلى الحزب الجديد مجموعة من كبار الملاك وأصحاب القلم والفكر والسياسة. منهم محمود سليمان وحسن عبد الرازق وحمد الباسل وسليمان أباظه وعلى شعراوى وفتحى زغلول وقاسم أمين وعبد العزيز فهمى وعبد الخالق ثروت وسعد زغلول. وكان لطفى السيد هو سكرتير عام الحزب ورئيس تحرير جريدته «الجريدة».

خصص أحمد لطفى السيد فى الجريدة مساحة كبيرة لمناقشة قضايا الوطن الاجتماعية والسياسية والثقافية. وجعلها مدرسة لتدريب الكتاب الصغار على الكتابة الحرة تحت إشرافه وتوجيهه. وهذا عمل نادر لا تراه فى صحافتنا اليوم. ومن هنا جاءت تسميته عن جدارة بأستاذ الجيل. وهو اللقب الذى ظل يلازمه طيلة حياته.

كان أحمد لطفى السيد وكتاب الجريدة وحزب الأمة وراء حملة التبرعات التى

قام بها الأهالى لإنشاء أول جامعة مصرية عام ١٩٠٨م والتى أصبحت جامعة حكومية عام ١٩٢٤م (جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة حاليا).

عندما بدأت الجامعة فى التوسع فى برامجها الطموحة كان أحمد لطفى السيد هو مديرها الأول. ومن خلال منصبه الجديد استمر فى تعليم وتثقيف الجيل. ولم يترك منصب مدير الجامعة إلا ثلاث مرات. الأولى فى عام ١٩٢٨م عندما أختير وزيرا للمعارف. والثانية عام ١٩٣٢م عندما إستقال إحتجاجا على فصل حكومة إسماعيل صدقى للدكتور طه حسين. بسبب كتابه فى الشعر الجاهلى. والثالثة عندما اقتحمت الشرطة حرم الجامعة عام ١٩٣٧م. وفى عام ١٩٤١م ترك الجامعة لكى يصبح عضوا فى مجلس الشيوخ. وبعد حركة الجيش المباركة عام ١٩٥٢م عرض عليه الضباط الأحرار أن يكون رئيسا لمصر. لكنه رفض واعتزل الحياة العامة. وإقتصر نشاطه على رئاسة مجمع اللغة العربية. وهو المنصب الذى ظل يشغله حتى وفاته رحمه الله عام ١٩٦٣م.

كانت معظم كتابات أحمد لطفى السيد مقالات فى جريدة «الجريدة». جمعت فى عدة كتب فيما بعد. وقام لطفى السيد بترجمة كتاب الأخلاق لأرسطو من اللغة الفرنسية عام ١٩٢٢م. وترجم ثمانية كتب أخرى لأرسطو عام ١٩٣٢م وعام ١٩٣٥م وعام ١٩٤٠م. وكانت كتاباته فى الجريدة تهدف إلى وضع إطار سياسى واجتماعى للنضال المصرى مبنى على فلسفات أرسطو وروسو ولوك وبنهام وسبنسر. فالإنسان ولد لكى يكون حرا وبإرادة حرة.

حر فى اختياره أو رفضه.

لكن لطفى السيد يختلف مع روسو فى أن الإنسان ليس بمعزل عن المجتمع. فالمجتمع هو أيضا كائن حى. وحرية الإنسان لا تتعارض مع القوانين التى تنظم

المجتمع. إذا بنى هذا المجتمع وصيغت تلك القوانين بحيث تسمح للإنسان الحر تلقائيا بأداء واجبه نحو مجتمعه دون ضغوط خارجية.

حرية الإنسان تصبح عديمة الفائدة إذا لم تصاحبها حرية التعبير. لذلك يجب أن تكون حرية التعبير حقا من الحقوق المدنية للمواطن. ولكى نحمى الحقوق المدنية لابد أن يكون الفرد ممثلا فى إدارة شئون مجتمعه.

الشعب يجب أن يكون الحاكم الحقيقى. أى العصمة يجب أن تكون فى يد ممثلى الشعب. لذلك لابد من وجود دستور يفصل بين السلطات. الشعب يجب أن يحذر كل الحذر من إعطاء السلطة التنفيذية حقوقا أكثر من الحقوق اللازمة لحفظ النظام. حتى لا تتحول الحكومة إلى سلطة طاغية يصعب التخلص منها. لأن السلطة مفسدة والسلطة المطلقة فساد مطلق.

السبب فى تخلفنا هو أننا وثقنا فى الطغاة. وإمتثلنا للتعاليم الجامدة المشوهة التى تتعارض مع روح الإسلام وقوانين التطور. الطغيان وحكم الفرد هما المسئولان عن تدمير القيم النبيلة فى المجتمع. إنهما يعوقان نمو الأخلاق السليمة. ويؤديان إلى مجتمعات مشوهة أخلاقيا. لذلك فالحرية السياسية شرط ضرورى لقيام أى نوع من الحريات. لأن الحكم الإستبدادى يخلق علاقة خاطئة بين الحاكم والمحكوم. علاقة أمر وطاعة. علاقة سيد وعبد. وهذا يسبب فقدان الثقة بين المواطنين. ويفتت وحدة الأمة من الداخل. الوهم بأن بعض الأفراد وحدهم لهم الحق فى الحكم والثروة. وللآخرين الذل والعبودية. هو تصور يخالف طبيعة الأشياء. ويتعارض مع العلم والمنطق.

الحكومة الصالحة هى التى تنبع من اتفاق أو عقد اجتماعى حر. يتواءم مع بديهيات العدالة والحق. هذا العقد الاجتماعى هو أساس القوانين. والقوانين هى

التى تلزم الحاكم قبل المحكوم. الحكومات المحددة السلطات والمقيدة بالقانون هى وسيلة الحكم الطبيعى الذى يوافق النفس البشرية. وكل المجتمعات لها الحق فى أن تحكم بمثل هذه الحكومات. ومنطق الطغاة والجهلة فقط هو الذى يقول بأنه هناك شعوب تصلح لها الحرية وشعوب أخرى لا تصلح لها. وهذا عكس ما يقوله ساستنا اليوم.

هنا يختلف أحمد لطفى السيد عن الإمام محمد عبده الذى يؤمن بحكم الفرد بشرط أن يكون عادلا. لكن لطفى السيد يقول بأن حكم الفرد يصلح فقط للمجتمعات البدائية جدا. أما مجتمعنا فقد تعدى هذه المرحلة منذ آلاف السنين. فحق الأمة فى أن تحكم نفسها بنفسها ليس له علاقة بدرجة حضارتها وتقدمها الاجتماعى والسياسى والثقافى. لأن أسلوب الحكم هو الذى يبنى الحضارة. والحرية هى التى تخلق روح الحرية. أما الحكم الشمولى فلن يعلم الناس كيف تحكم نفسها. ولن يقدمهم خطوة واحدة نحو الحرية والديموقراطية. وهذا يتضح من تجربتنا وتجربة الهند فى الحكم. فقد بدأنا ميسورى الحال فى بداية الخمسينيات ونظام حكم شمولى. وبدأت الهند فى نفس الوقت كدولة فقيرة مع نظام حكم ديموقراطى. نجحت الهند فى ديموقراطيتها. ولا زلنا نعانى من ويلات الحكم الشمولى. ووصلنا إلى حالة تصعب على الكافر.

رفض أحمد لطفى السيد الحركات السياسية المبنية على أساس دينى. ورفض أيضا ربط مصر بالعالم العربى أو تركيا أو العالم الإسلامى سياسيا. فهو يقول بأن الوطن ورباط الأرض فقط يجب أن يكونا أساس كل الجهود السياسية والفكرية. فآلاف السنين من عبق التاريخ المصرى القديم مزجت مع أحداث التاريخ المصرى الحديث. لتكون شخصية مصر الفريدة. لذلك ليس هناك أى خطر أو خوف على

شخصية مصر من الانفتاح على الغرب. فمصر لها ماضيها الفرعونى العريق. ودراسة تاريخها يفيد المصريين فى إكتشاف القوانين التى تحكم التطور والتقدم بالنسبة للأمم. كل من يعيش على تراب مصر بمن فيهم الأجانب هم مصريون. صهروا فى بودقة المكان الذى حافظ على شخصية مصر عبر آلاف السنين. وأصبحوا مصريين بكل معنى الكلمة. وتربطهم جميعا بتراب مصر روابط أشد وأقوى من رابطة الدين.

وقد كان يعنى بذلك الأوربيين والشوام الذين تركوا أوطانهم وعاشوا فى مصر وتجنسوا بجنسيتها وساهموا فى إستقلالها وبعث حضارتها. وكتب يقول: الإدعاء بأن أرض الإسلام هى وطن لكل من هو مسلم. هى فكرة تركية تصلح للدول الإستعمارية التى تبغى فرض سلطانها على باقى الدول الإسلامية بإسم الدين. ولم يكن يؤمن أيضا بالوحدات السياسية بين الدول الضعيفة والفقيرة. فهى بالنسبة له وحدات مصطنعة. خلقها الإستعمار البريطانى لتعبئة الشعوب الأوروبية ضد الحركات الوطنية داخل مصر وباقى الدول العربية والإسلامية.

لأن الحركات الوطنية هى الخطر الحقيقى على مصالح الدول الاستعمارية فى المنطقة. وقد أثبت التاريخ صدق حس أحمد لطفى السيد. فقد قامت جامعة الدول العربية تحت رعاية وإشراف بريطانيا. وفى ظلها ضاعت فلسطين وبددت ثروات الشعوب العربية ودمر العراق ولبنان والسودان والصومال. وحكمت الدول العربية بدون إستثناء بالسوط. وقيدت شعوبها مثل البعير. وتحت شعار المد الإسلامى والوحدة الإسلامية والخوف من إنتشار الإسلام نرى ما قد حدث فى فى البوسنة والشيشان وأفغانستان.

لا يعنى هذا أن الدول العربية والإسلامية لا يجب أن تتعاون وتتكاتف مع

بعضها لمصلحة شعوبها. لكن يعنى أن الشعوب لا يجب أن تنخدع بالوحدات السياسية المصطنعة السابقة لأوانها. حتى لا تغفل كفاحها للتحرر من قبضة الإستعمار ومن نير الحكم الشمولى. ومحاربة الفقر والتخلف وبناء دعائم الديموقراطية الصحيحة فى بلادها.

الإستقلال السياسى والحرية السياسية لا تكفى بدون إقتصاد قوى مستقل. لذلك يحذر لطفى السيد من مغبة الدين الأجنبى. فبسببه أحتلت مصر وفقدت إستقلالها. فعلى مصر أن تبنى تجارتها وصناعتها الوطنية المستقلة. لذلك نجد فى الفترة بين عامى ١٩٢٠م و ١٩٣٠م تأسس بنك مصر والشركات التابعة له. فطلعت حرب وحافظ عفيفى وغيرهم من الإقتصاديين الوطنيين كانت لهم علاقات وطيدة بأحمد لطفى السيد وبأفكاره وآرائه. فبنك مصر لم ينشأ لأسباب اقتصادية فقط ولكن لكى يكون دعامة أساسية لاستقلال مصر السياسى .

أما آراء أحمد لطفى السيد فى التعليم فهو ضد تقسيم التعليم إلى تعليم دينى وآخر مدنى. وضد إنشاء المدارس الدينية سواء كانت إسلامية أو إرساليات مسيحية. وضد إنشاء المدارس الأجنبية. لأن هذا التنوع فى التعليم لن يثرى التجربة الثقافية فى مصر بقدر ما يقوم به من تمزيق وإضعاف لوحدة الوطن ثقافيا وفكريا وإجتماعيا. الهدف من التعليم هو خلق أجيالا من الأمة متجانسة فكريا وخلقيا. متحدة حول مبادئ الأخلاق السامية والعلوم الحديثة.

مثل هذا النوع من التعليم لا يجب أن يكون تحت الإشراف المطلق للحكومة بدون رقابة شعبية. لأن الحكومات تستخدم التعليم والمدارس لخدمة أغراضها ومصالحها السياسية. المدارس والجامعات يجب أن تكون حرة. حرة لخدمة العلوم والفكر والثقافة والمجتمع. ولا يجب أن تكون أداة لتأليه الحاكم أو أسلوبا لتوطيد

وترسيخ مفهوم العبودية للمحكوم.

هذا هو أستاذ الجيل وكل الأجيال. ونختم مقالنا برأى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى أستاذ الجيل فيقول: «أريد أن أعلم إلى أى كاتب أو إلى أى مفكر فى مصر أو فى الشرق العربى كله إننا لا نستطيع أن نقرن الأستاذ أحمد لطفى السيد. أما أنا فلست أعرف له نظيرا فى الكتابة ولا فى التفكير ولا فى الترجمة. وأزعم أن ليس بين المصريين وغير المصريين من يستطيع أن يجد له نظيرا فى هذه الوجوه الثلاث. وليشهدن التاريخ بأن مصر مدينة بالشئ الكثير جدا للأستاذ لطفى السيد فى نهضتها العقلية والسياسية والإجتماعية. وحين أسمع الاستقلال التام والحرية الدستورية وسلطة الأمة وأشياء كثيرة أبتسم إبتساما فيه حزن وأمل. لأن هذه الألفاظ وهذه المعانى هى ألفاظ ومعانى لطفى السيد. ليس فى ذلك نزاع ولا جدال. ولنقارن بين نوعية هؤلاء الرجال ونوعية أكياس الدهن التى تحكمنا وتحكم العالم العربى الآن. ونطلب من الله اللطف ومن شعوبنا الصبر والسلوان.

■ ■ ■

رجل المناصب والإستقالات

يخطئ من يتصور أن استقالة أحمد لطفى السيد من رئاسة جامعة القاهرة كانت الأولى من نوعها فضلاً عن أنها لم تكن الأخيرة .

فالرجل الذى شغل عدة مناصب مهمة خلال سنوات عمره التى تجاوزت التسعين لم يستمر فى منصب منها سوى لسنوات معدودة .. لم يكن يضيق بالمنصب قدر ضيقه من المساس بكرامته ولو من بعيد .. كان رد فعله يتجلى فى ورقة بيضاء يكتب عليها استقالته المسببة ويترك المنصب ويرحل طابعاً بذلك بصمات مضيئة ليس على حياته فقط وإنما على حياة كثيرين جاءوا بعده وتأثروا به

أحمد لطفى السيد هو الابن الأكبر للسيد باشا أبو على عمدة قرية برقين مركز السنبلاوين بالدقهلية ولد فى ١٥ يناير ١٨٧٢ وفتح عيناه للمرة الأولى داخل القرية التى يقول عنها فى كتابه «قصة حياتى» إن تعدادها فى ذلك الوقت «لم يكن يزيد على مائة نفس». حفظ لطفى القرآن فى كتاب القرية ولما أتم عامه العاشر ألحقه والده بالقسم الداخلى لمدرسة المنصورة الابتدائية

على أن لطفى لم يمكث طويلاً فى مدرسة المنصورة إذ سرعان ما تركها بعد ٣ سنوات ليلتحق بالمدرسة الخديوية فى القاهرة ولم يتركها إلا فى عام ١٨٨٩ بعد حصوله على شهادة البكالوريا ولما كان لطفى مختاراً أى مدرسة عليا يلتحق بها فقد أجرى مع والده قرعة خرجت مرتين على كلية الحقوق فالتحق بها

وبمجرد حصول لطفى على ليسانس الحقوق فى عام ١٨٩٤ عين كاتباً فى النيابة براتب ٥ جنيهات شهرياً وما لبث أن ارتفع راتبه للضعف فى عام ١٨٩٦ بعد تعيينه وكيلاً للنيابة

وفى نفس العام قام بتأليف جمعية سرية مكونة من جماعة من زملائه على رأسهم عبدالعزيز فهمى وكان غرض الجمعية كما يقول لطفى هو «تحرير مصر» ولم يكن غريباً أن يتسرب أمر الجمعية إلى الخديو الشاب عباس حلمى الذى أرسل يدعوه عن طريق مصطفى كامل باشا للاشتراك فى «حزب وطنى» تحت رئاسته .

وهكذا كما يروى لطفى تأسس «الحزب الوطنى » كجمعية سرية رئيسها الخديو وأعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد سعيد الشيمى «ياور الخديو» ومحمد عثمان والد أمين باشا عثمان ولبيب محرم ولطفى السيد .

وكانت الأسماء الحركية تطلق على الأعضاء والرئيس فكان اسم الخديو فى الحزب هو «الشيخ» بينما كان مصطفى كامل هو «أبو الفداء» ولطفى السيد «أبو مسلم» غير أن ارتباط لطفى السيد بالحزب انحل سريعاً خصوصاً بعد أن غضب عليه الخديو إثر معلومات وصلته عنه بأنه كان متصلاً بالشيخ محمد عبده أثناء إقامته فى سويسرا ولما كان الخديو «لا يميل إلى الشيخ» فقد غضب على لطفى .

عاد لطفى السيد إلى وظيفته كوكيل نيابة غير أنه لم يلبث أن تركها مقدماً استقالته لخلاف فى الرأى القانونى بينه وبين النائب العمومى «كوربت باشا» ويقول لطفى عن تلك الاستقالة إنها لم تكن الأولى فقد سبقتها استقالة أخرى لخلاف قانونى أيضاً لكنه لم ينجح فى الإصرار عليها فلما وقع الخلاف مرة أخرى مع النائب العمومى أصر على الاستقالة لأنه على حد تعبيره : «ضقت باحتمال جو خانق بالنيابة» .

وكان صديقه عبدالعزيز فهمى قد استقال من وظيفته هو الآخر واشتغل بالمحاماة وعرض عليه الاشتغال معه فوافقه وعمل بها لفترة قال إنها «قصيرة» ثم اعتزلها بعد ضيقه بها هى الأخرى .

ومن المحاماة إلى الصحافة التى أسس بها جريدة «الجريدة» مع مجموعة من أصدقائه وانتخب مديراً لها ورئيساً لتحريرها وبعد شهور قليلة من إصدار «الجريدة» ألف «حزب الأمة» فى ديسمبر ١٩٠٧ وكان هدف الحزب الرئيسى هو «المطالبة بالاستقلال التام والدستور» وعلى الرغم من أن لطفى السيد كما يرى فى مذكراته كان أول من دعا إلى إنشاء نقابة للصحفيين قامت بالفعل فى عام ١٩١٢ إلا إنها «لم تعمر طويلاً لأن الحرب العالمية الأولى أتت عليها».

وبقيام الحرب العالمية الأولى أصيب لطفى بالإحباط فأعلن أنه «كسر قلمه واعتزل السياسة» وبالفعل عاد إلى قريته بالدقهلية قبل أن يتم عزل الخديو عباس وإعلان الحماية على مصر وتنصيب الأمير حسين كامل سلطاناً عليها ويقول لطفى إن ثمة شائعات انتشرت فى مصر فى ذلك الوقت تردد أن تركيا حكمت بالإعدام على السلطان حسين وأعضاء وزارة رشدى باشا على اعتبار أنهم قبلوا الحماية وكذلك عليه هو أيضاً باعتباره صاحب موقف معاد للأتراك ولهذا نصحه والده كما يروى أن يقبل منصب مدير دار الكتب المصرية الذى عرضه عليه الخديو فى ذلك الوقت حتى لا يقبض عليه الإنجليز فقبل المنصب.

وإثر تأليف الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول استقال لطفى من دار الكتب والتحق بالوفد ثم أعلن مرة أخرى اعتزاله السياسة بعد الخلاف الذى نشب بين سعد وعدلى حول رئاسة المفاوضات ليعود مرة أخرى لدار الكتب وليشغل فى الوقت نفسه وكالة الجامعة المصرية القديمة التى أنشئت فى ١٩٠٨ كجامعة أهلية ثم تحولت فى ١٩٢٣ إلى جامعة حكومية بعد عقد وقعته الحكومة ممثلة فى وزارة المعارف مع حسين رشدى باشا رئيس الجامعة وتم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمبانيها الحالية فى فبراير ١٩٢٨ .

وبعد شهور قليلة من الاحتفال بتأسيس الجامعة دخل أحمد لطفى السيد ضمن تشكيل حكومة محمد محمود باشا كوزير للمعارف ثم ترك المنصب مع تقديم الحكومة لاستقالتها فى أكتوبر ١٩٢٩ وعاد إلى رئاسة الجامعة فى ١٩٣٠ ليقدم استقالته من منصبه للمرة الأولى فى ٩ مارس ١٩٣٢ احتجاجاً على نقل طه حسين من الجامعة إلى ديوان الوزارة دون موافقته وهو الأمر الذى اعتبره لطفى نقضاً من الدولة للعقد الذى تم توقيعه معها عام ١٩٢٣ عند تحويل الجامعة من أهلية إلى أميرية وكانت أهم بنود ذلك العقد «أن تكون الجامعة المصرية معهداً عاماً محتفظة بشخصيتها المعنوية وتدير شؤونها بنفسها بكيفية مستقلة تحت إشراف وزارة المعارف العمومية كما هى الحال فى جامعات أوروبا» .

عاد لطفى مرة أخرى إلى الجامعة فى إبريل ١٩٣٥ وشارك فى وزارة محمد محمود للمرة الثانية فى ديسمبر ١٩٣٧ كوزير دولة أولاً ووزير داخلية فيما بعد ونظراً للخلاف الذى نشب بين عدد من الأحزاب وقتها أصر لطفى على الخروج من الوزارة وإفساح الفرصة لغيره من الأحزاب الأخرى ومن الوزارة إلى الجامعة التى قدم استقالته منها للمرة الثانية فى ١٩٤١ احتجاجاً على اتصال الأمن بالطلبة وانتهى به المطاف كعضو فى مجلس الشيوخ ورئيساً لمجمع اللغة العربية قبل أن يلقى ربه فى ٥ مارس عام ١٩٦٣ .

■ ■ ■

لطفي السيد ومي زيادة

كان أستاذ الجيل أحمد لطفي شغوفاً بالأدب العربي وكان محامياً وتولى رئاسة تحرير جريدة « الجريدة» لعدة سنوات وكانت بداية معرفته بمي في لبنان كان يقضي أجازة الصيف في بيروت وكانت هي هناك مصادفة وبينما كان يتناول عشاءه في الفندق لمح بالغرب منه فتاة شرقية الملامح تتحدث بفرنسية طلقة مع قنصل فرنسا في مصر وتدافع عن المرأة الشرقية وحقوقها بحماس.

لفتت نظره هذه الفتاة فسأل صديقه الذي كان بصحبته

من هذه الفتاة ؟

فأجابه خليل سركيس :

إنها ماري زيادة بنت الصحفي المعروف إلياس زيادة صاحب جريدة « المحروسة » .. وبعد أن انتهت مقابلة مي مع القنصل تقدم إليها خليل سركيس الذي كان يعرفها شخصياً وقدمها إلى أحمد لطفي السيد .

وبدأ اهتمام أحمد لطفي السيد بمي كما قدرت مي هذا الاهتمام وتلك الرعاية تقديراً كبيراً فأهدت إليه كتابها « ابتسامات ودموع» عندما عادت إلى مصر وعاد هو كذلك وكان الكتاب ترجمة لرواية ألمانية .

وتابع أحمد لطفي السيد مقالاتها التي كانت تكتبها في جريدة والدها « المحروسة» تحت عنوان « يوميات فتاة» . ولاحظ لطفي السيد أن أسلوب مي تأثراً كثيراً بثقافتها الغربية فوجهها إلى الاهتمام باللغة العربية ونصحها بقراءة الأدب العربي .

وذات يوم التقت به في إحدى الجلسات فقال لها :

لا بد لك يا آنسة من تلاوة القرآن الكريم لكي تستفيدي من بلاغة معانيه وفصاحة أسلوبه .

فقالت له مي :

ليس عندي نسخة من القرآن .

فقال لها :

أنا أهدي لك نسخة منه !

وبعث إليها الاستاذ لطفي السيد في اليوم التالي نسخة من القرآن الكريم مع كتب أخرى في الأدب العربي.

وتعترف مي بفضل لطفي السيد عليها فتقول :

ابتدأت أفهم من لطفي السيد اتجاه الإسلوب العربي وما في القرآن من روعة جذابة ساعدتني على تنسيق كتابتي ورقي أسلوبي.

وتبادلت مي مع أستاذها لطفي السيد الرسائل الأدبية التي احتوت آراء وخواطر وأشجان كل منهما .. كما تخللتها الكثير من العواطف النبيلة والمشاركة الوجدانية الحقيقية .

في ١٥ مايو ١٩١٣ كتب إليها من مصيفه بالإسكندرية خطاباً جاء فيه :

جاءني كتابك فتشممته ملياً وقرأته هنيئاً مريئاً وإني ممتنع نهائياً عن أشرح لك العواطف. وكل ما يأذن لي تهيبك أن أبوح به هو أني من الصباح إلى هذا المساء وأنا وحدي فلم أستطع أن أمسك القلم لأجيب عليه بصراحتي العادية فما وجدت بداً من الركون إلى أسلم الطرق وهو أن أحفظ لنفسي وصف الاغتباط الذي نالني من هذا الكتاب.

اعترفي بأنك كنت في ساعة من ساعات تجلياتك حين كتبت لي هذه الرسالة ان

فيها أفكاراً ومرامي ذات وزن كبير وفيها مقاصد ومعان تكاد تطير من خفتها أو تذوب من رقتها .

أجنابة أن أتحدث بهذه السابغة ؟!! إلا أن للأرواح أيضاً غذاء يتنزل عليها من مكان أسمى من مكانها العادي وهزة تأخذها حين تتقابل جاذبيتها . لعل ذلك هو سر السعادة الإنسانية التي يلتمسها الناس فلا يعرفون طريقها .

وكانت مي سعيدة باهتمام أستاذها أحمد لطفي السيد فحافظت على علاقتها به ودعمتها بكل المودة والاحترام والاهتمام وكانت تستقبله مع أصدقائها المقربين في غير أوقات الصالون.

ودامت هذه العلاقة قوية حقيقية تجمع بين أستاذ وأديبة موهوبة تحمل له العرفان بالجميل والاحترام والمحبة .

ويبقى السؤال الأحمر القاني الناري :

لماذا قال لطفي السيد للعقاد وطه حسين حين كان لطفي مسئولاً عن المجمع اللغوي وطالبه العقاد وطه بنشر الرسائل المتبادلة بين مي زيادة ورجال صالونها لماذا قال :

لو تعارضت الفضيلة مع رذائلنا التي فعلناها في صالون مي أننشر رذائلنا ونناقض الفضيلة ؟!

إن هذه العبارة لا ريب تخفي ورائها الكثير والكثير من أسرار صالون مي زيادة !!

بل وتخفي ورائها أقنعة ووجوه الكبار لدينا !!

فأي رذائل مورست في صالون مي ؟!

وأي أسرار حمراء تعارضت مع الفضائل خشي أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد أن ينشرها للعامة لم يتحرَّج أباطرة رجال صالون مي في ممارستها يوماً باسم الحرية

والحب والصداقة والفِكر ؟!

إن هذه العبارة لو توقفنا أمامها لصُفِعَ الجميع على وجوههم حتماً !!

كما أننا لو توقفنا أمام عبرات ودموع وعبارة مي زيادة عن إدريس راغب :

«رب لِما كانت الخطيئة » !

لرحمنا الآنسة مي !!

ربما .. وربما لا !!

إن الكبار يعشقون على طريقتهم الخاصة !!

ويمارسون الرذائل أيضاً على طريقتهم الأكثر خصوصية !!

■ ■ ■

obeikan.com